إن من الغبن أن ننظر إلى الشعر فلا نراه إلا مرتداً مع المرتدين . . وأن يظل فى ارتداده . . . والزمن فى امتداده . . . صوب نهاية القرن الأول أو ما بعد ذلك من قرون ... وكأنى بالشعر لم يترك مسرباً من مسارب الحياة لم ينفذ خلاله ، أو مسلكا من مسالكها لم يدلف إليه ، فقد أخذ الشعر من الحياة ما أعطته له الحياة وأعطى الشعر للحياة كل ما انفعل به وتفاعل معه ، يثور حيثما ثارت ، ويسكن حينما تهدأ . ولا غرو فإن ما بين الشعر والحياة مثلما بين الشعاع ومصدره أو بين الماء ومنبعه الذى ينبثق منه ، لا ينقطع ما بين هذا وذاك إلا بانقطاع الحياة نفسها عن تدفقها ، وتمزق الخيوط التى تربط بين نسائجها ... وما كان للحياة فى العصر الإسلامى الأول أن ينقطع فيضها أو يجف ماؤها أو تنحدر جداولها إلى حيث تطويها رمال الصحراء فى طيها ، وتحجبها عن ضوء الشمس ومهب الرياح . فإذا كانت الحياة قد سارت إلى حيث تسير بها أمور السياسة وشئون المجتمع وأوضاع الدين وأحوال الناس وتقلباتها وتنقلاتها ما بين حال إلى حال ، فما كان الشعر ليكف عن جريانه ، ويتوقف تدفق الوجدان فيه ، والدنيا من حوله تجرى فى مواكبها ، أو ينكص عن المسيرة ، والحياة تسير فى قوافلها إلى حيث أراد الله لها أن تسير . وإذا كان هـذا هو الواقع ، فلا يعنينا بعد ذلك أن نتحدث عن التطور فى الشعر لا يكون إلا فى الكنه والجوهر[1] ، وأن يكون فى الجوهر دون أن يكون

---

(١) يقول نجيب البهبيتى أيضاً : « ولم يكن الشعر عندى فى جوهره إلا تعبيراً جميلا منطوقاً منغوماً عن انعكاس الحياة فى أروع معانيها على النفس البشرية » (تاريخ الشعر العربى ص ٤٥) . ويقول : « والواقع أن الشعر فى جوهره عند العرب مثله عند الغربيين ، إنمـا هو صورة من صور التعبير الانفعالى عن انعكاس الحياة على النفس البشرية ، والحياة متعددة المظاهر والانفعال بها مختلف الدرجات فى النفوس المختلفة ، كما أنه مختلف الدرجات فى النفس الواحدة . وجميع الفنون الموضوعية التى عانيها الشاعر الاغريقى القديم ، عالجها الشاعر الجاهلى . غير أن اليونان وجدوا طرق الملاءمة بين =